



تقييم حالة

محددات الموقف السوداني من الأزمة الخليجية

وحدة تحليل السياسات | أغسطس 2017

محددات الموقف السوداني من الأزمة الخليجية

سلسلة: تقييم حالة

وحدة تحليل السياسات | أغسطس 2017

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2017

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: +974 44199777

www.dohainstitute.org

ملخص

ثمة خمس قضايا رئيسة كانت المحددات في رسم معالم المقاربة التي عكست موقف السودان من الأزمة الخليجية؛ وهو الموقف الذي تصفه الحكومة السودانية نفسها بأنه محايد. ويمكن تلخيص هذه المحددات في ما يلي:

- تطعُ الحكومة السودانية إلى دور سعودي في رفع العقوبات الأميركية عنها، بعد التقارب الأخير بين الرياض والإدارة الأميركية الجديدة، ما دفع الخرطوم إلى عدم الانحياز إلى الجانب القطري.
- وقف توتر العلاقات الثنائية بين مصر والسودان حائلاً دون اقتراب السودان من مواقف دول الحصار.
- تباين المواقف داخل مكونات التحالف الحاكم في الخرطوم بعد إعلان حكومة الوحدة الوطنية في أيار/ مايو 2017، ما بين الدعم المعلن لقطر من جانب، والإصرار على الحياد من جانب آخر، وهو ما أدى دوراً مهماً في التزام الحكومة موقف الحياد من الأزمة.
- كانت العلاقات الثنائية المتميزة بين السودان وقطر على مدى عقدين من الزمان وراء إصرار الحكومة السودانية على موقف الحياد، على الرغم من الضغط والعقوبات التي تعرضت لها الحكومة السودانية، على يد السعودية والإمارات.
- استخدمت الخرطوم في تعزيز موقفها الرفض للانضمام إلى دول الحصار بطاقة المشاركة في حرب اليمن، وحقيقة عدم قدرة دول الحصار على التخلي عن دور الجيش السوداني في تأمين المناطق على الأرض، إلى جانب أداء مهمات عسكرية تعجز عنها القوات البرية السعودية والإماراتية.

المحتويات

1	مقدمة
1	أولاً: العلاقات مع السعودية وملف العقوبات الأميركية
3	ثانياً: موقف السودان من مصر وتوتر العلاقات الثنائية
4	ثالثاً: تباين مواقف التحالف الحاكم بقيادة البشير
6	رابعاً: العلاقات السودانية - القطرية
9	خامساً: المشاركة العسكرية للسودان في عاصفة الحزم
10	خاتمة

مقدمة

أظهرت الحكومة السودانية موقفًا محايدًا إلى حد ما، في الأزمة الخليجية التي بدأت في 5 حزيران/ يونيو 2017، بإعلان السعودية والإمارات والبحرين ومصر قطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولة قطر. ولم تدخر دول الحصار جهدًا في الضغط على من يبدو أنهم حلفاؤها من الدول العربية والإسلامية، ما أثمر حتى 7 حزيران/ يونيو لحاق خمس دول وحكومات بمحور المقاطعة؛ وهي جزر المالديف وجزر القمر وموريتانيا وحكومتا ليبيا واليمن، وأعلنت دولتان (الأردن وجيبوتي) خفض تمثيلهما الدبلوماسي مع قطر. وكانت السودان من الدول التي توقع محور المقاطعة اصطفاؤها إلى جانبه، لكن جاء بيان وزارة الخارجية السودانية الذي اتسم بالحياد¹ في اليوم ذاته الذي أعلنت فيه الدول الأربع قطع علاقاتها الدبلوماسية مع قطر، ليسد الطريق أمام احتمال انحياز السودان إلى محور السعودية والإمارات. وعلى الرغم من ذلك ظلت السودان باستمرار عرضة للضغط من دول المقاطعة لتغيير موقفها². ويبدو حتى الآن أن مقاربة الحكومة السودانية للأزمة الخليجية تقوم على أساس موقف حيادي، يسعى للحفاظ على توازن دقيق في هذا المحيط المضطرب، فكيف يبدو هذا التوازن؟ وما محدداته؟

أولاً: العلاقات مع السعودية وملف العقوبات الأميركية

منذ قطعت السودان العلاقات الدبلوماسية مع إيران مطلع عام 2016، على خلفية الاعتداء على السفارة السعودية في طهران³، اتجهت السودان بوضوح إلى بناء علاقات دبلوماسية قوية مع السعودية، حيث مهدت

¹ "السودان يُعلن موقفه من الأزمة في الخليج"، هاف بوست عربي، 2017/6/6، شوهد في 2017/7/27، في:

goo.gl/c34Mk9

² "سفراء السعودية والإمارات ومصر يتحركون ضدّ قطر في السودان عقب زيارة المريخي"، العربي الجديد، 2017/7/17، شوهد في: 2017/7/27، في:

goo.gl/1UgQWb

³ "السودان والبحرين يقطعان علاقاتهما الدبلوماسية بإيران"، الجزيرة. نت، 2016/1/4، شوهد في 2017/7/27، في:

goo.gl/zHvPaQ

لها مشاركة الجيش السوداني على نحو لافتٍ في آذار/ مارس 2015، ضمن "عاصفة الحزم" في الحرب ضد المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن. وفي المقابل، حاولت السودان استثمار علاقاتها الجديدة مع السعودية والإمارات في رفع العقوبات الأميركية التصاعدية المفروضة عليها منذ عشرين عامًا⁴، وخصوصًا أن الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما كان قد أصدر أمرًا تنفيذيًا قبل أسبوع واحد من مغادرته البيت الأبيض، يقضي برفع العقوبات عن السودان، وحدد القرار مهلة 180 يومًا للبت في رفع العقوبات نهائيًا⁵. وربما كان التقارب الأخير بين السعودية والإدارة الأميركية الجديدة بعد وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، حافزًا إضافيًا للسودان في أن يزداد تعويلها على السعودية، لأداء دور الوساطة في رفع تلك العقوبات. وقد مثل الاستبعاد المفاجئ للرئيس السوداني عمر البشير من المشاركة في قمة الرياض التي انعقدت في 21 أيار/ مايو 2017، بسبب معارضة أميركا مشاركته نظرًا إلى التهم الموجهة ضده من المحكمة الجنائية الدولية⁶، مؤشرًا قويًا على حاجة الخرطوم إلى الحفاظ على التقارب مع السعودية؛ لإقناع الإدارة الأميركية الجديدة بضرورة رفع العقوبات عنها، خصوصًا مع اقتراب الأجل المضروب لسريان قرار رفع العقوبات في 12 تموز/ يوليو 2017. وعلى الرغم من أن الخرطوم كانت قد اختطت مسارًا سياسيًا ودبلوماسيًا حاولت من خلاله استخدام بعض اللوبيات النشطة في واشنطن للمساعدة في رفع العقوبات⁷، فإن هاجس ملف العقوبات الأميركية ظل باستمرار يضغط على حكومة الخرطوم للحفاظ على علاقات جيدة مع الرياض، أملًا في أن تؤدي دورًا إيجابيًا في إقناع واشنطن بذلك؛ ما دفع الخرطوم إلى اتخاذ موقف الحياد من الأزمة الخليجية، لكن أيضًا من دون الانحياز إلى دول الحصار في موقفها ضد دولة قطر.

⁴ لمزيد من التفاصيل، انظر:

"Sudan and Darfur Sanctions," *U.S Department of the Treasury*, accessed on 27/7/2017, at: goo.gl/g3kXjb

⁵ Anne Gearan, "Obama administration to lift some sanctions against Sudan," *The Washington Post*, 13/1/2017, accessed on 27/7/2017, at: goo.gl/QwM2AB

⁶ "واشنطن تعارض مشاركة البشير بقمة الرياض"، الجزيرة. نت، 2017/5/17، شوهد في: 2017/7/27، في:

goo.gl/661Ywa

⁷ Robbie Gramer, "Sudan Hires U.S. Lobbyist to Roll Back Sanctions," *Foreign Policy*, 20/6/2017, accessed on 27/7/2017, at: goo.gl/odW3d5

ثانياً: موقف السودان من مصر وتوتر العلاقات الثنائية

ربما ساهم سوء العلاقات السودانية - المصرية مساهمة فعالة في تموضع السودان خارج حلف حصار قطر؛ فقد اتسمت العلاقات السودانية - المصرية بحالة من التوتر الدائم منذ الانقلاب العسكري الذي نفذه عبد الفتاح السيسي في 3 تموز/ يوليو 2013، والذي أطاح الرئيس المنتخب محمد مرسي. وازداد توتر العلاقات بين البلدين بعد حملة الملاحقات التي شملت رموز تنظيم الإخوان المسلمين في مصر؛ إذ اتهمت القاهرة الخرطوم بإيواء بعض قادة التنظيم الفارين من مصر، الأمر الذي لم تؤكد الخرطوم⁸، بينما مثل الخلاف التاريخي بين البلدين حول تبعية مثلثي حلايب وشلاتين بؤرة دائمة للتوتر، كثيراً ما كانت تُثار لدى الطرفين مع كل خلاف جديد حول السياسة الخارجية للخرطوم والقاهرة. يضاف إلى هذا حروب التصريحات الدائمة بين مسؤولي البلدين، وقد تصاعدت حدة التوتر في آذار/ مارس 2017 حول تبعية المنطقتين المتنازعتين عليهما؛ ما أدى بالسودان إلى استصدار قرارات بمنع الواردات من الفاكهة والمواد الزراعية الأخرى، وفرض نظام تأشيرة الدخول المسبقة للمصريين القادمين من السودان؛ إذ كانت الاتفاقيات السابقة تقضي بعدم حاجة المواطنين المصريين إلى الحصول عليها. وبلغ التراشق بالتصريحات بين البلدين حد اتهام الخرطوم الحكومة المصرية بدعم الحركات المتمردة في دارفور بالعتاد العسكري⁹. وقد نقلت عدة صحف أنباءً عن تعزيزات وحشود عسكرية مصرية في المناطق المتنازعة عليها، وفي منطقة جبل العوينات الحدودية بين السودان ومصر وليبيا¹⁰. وكان رد السودان على تلك الحشود يشبه التصعيد؛ إذ تمركزت قوات برية سودانية بالقرب من الحدود المصرية مقابل المنطقتين المتنازعتين عليهما بين البلدين¹¹.

⁸ "توصيات من رئاسة السودان بدعم إخوان مصر الفارين إليها"، نون بوست، 2016/2/4، شوهد في: 2017/7/30، في:

goo.gl/3kXCm8

⁹ Ayah Aman, "Despite talk of good relations, security concerns darken Egypt-Sudan ties," Al-Monitor, 31/3/2017, accessed on 30/7/2017, at: <https://goo.gl/xbnJpn>

¹⁰ "تعزيزات عسكرية مصرية على الحدود مع السودان وليبيا"، صحيفة الصيحة السودانية، 2017/5/28، شوهد في: 2017/7/30، في: goo.gl/gkeiyz

¹¹ "القوات السودانية تنتشر حول جبل عوينات وتعزز وجودها في الحدود المصرية"، موقع الراكوبة، 2017/7/30، شوهد في: 2017/7/30، في: goo.gl/Wk4avj

وكانت الحكومة الليبية المؤقتة قد أصدرت قرارًا بإغلاق القنصلية السودانية في مدينة الكفرة جنوب شرق ليبيا، مُنهيّة بذلك الوجود الدبلوماسي للسودان في ليبيا، وأمّهلت القنصل السوداني وموظفيه 72 ساعة للمغادرة¹² بعد إغلاق السفارة السودانية في طرابلس. واتهمت السلطات الليبية القنصلية السودانية بالمساس بالأمن القومي الليبي، بينما احتجت الحكومة السودانية على القرار باستدعاء القائم بأعمال السفير الليبي في الخرطوم، ودعت ليبيا إلى التراجع عن القرار¹³. ويبدو، بحسب المبررات الليبية، أن الدور الإماراتي والمصري الداعم لخليفة حفتر يقف وراء هذا التصعيد الليبي الأخير ضد حكومة الخرطوم التي تتهمها الأطراف الثلاثة بزعزعة الأمن في ليبيا، ودعم جماعات مقاتلة ذات خلفيات إسلامية؛ ما يعطي مؤشراً جديداً على مزيد من الجفوة والخلاف في المواقف بين مصر وحليفاتها الإمارات، وبين موقف السودان، حول قضية الخلاف الخليجي الأخير مع دولة قطر، خصوصاً أن الاتهامات الموجهة من هذه الأطراف إلى السودان في ما يخص ليبيا هي الاتهامات ذاتها التي توجهها دول الحصار إلى دولة قطر.

ثالثاً: تباين مواقف التحالف الحاكم بقيادة البشير

يُعدّ المشهد السياسي داخلياً في السودان، وبالأحرى تضارب وجهات النظر داخل التحالف الحاكم في السودان بقيادة البشير، من أهم محددات الموقف السوداني تجاه الأزمة الخليجية الراهنة. ويأتي هذا التضارب تعبيراً عن تناقضات السياسة الداخلية لهذا التحالف الحاكم، والذي جاء نتاجاً ل جولات طويلة ومتعثرة من الحوار الوطني، كان قد أطلقها الرئيس السوداني مباشرة بعد أربعة أشهر من انتفاضة أيلول/ سبتمبر 2013، بوصفه خياراً يجنب حكومته شبح السقوط بانقراض شعبية. وقد انتظمت فيه جميع القوى السياسية السودانية المعارضة، كما أبدت الحركات المسلحة في أقاليم دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق نيتها الجلوس للتفاوض. لكن تراجع

¹² "الحكومة المؤقتة تطرد القنصلية السودانية في الكفرة وتمهلها 72 ساعة لمغادرة البلاد"، المرصد، شوهده في 2017/7/30، في:

goo.gl/r8Hr3a

¹³ "سلطات شرق ليبيا تطرد دبلوماسيين سودانيين، دعوات سودانية إلى الحكومة المؤقتة إلى مراجعة القرار بما يكفل عودة القنصلية لممارسة دورها الطبيعي"، العرب اللندنية، 2017/7/29، شوهده في 2017/7/30، في:

goo.gl/v76B7G

حكومة البشير عن كثير من المبادئ التي أقرتها في وثيقتها الرئيسية التي ألقاها الرئيس في خطاب عام، دفع القوى الرئيسية المعارضة، وعلى رأسها حزب الأمة، والحزب الشيوعي، والحركات المسلحة، إلى رفض الحوار، بينما استمرت حكومة البشير في المسار الذي أطلقت عليه اسم "الحوار الوطني" الذي نتجت منه الحكومة الحالية التي احتفظ فيها حزب البشير بحصة الأسد، مانحًا الأحزاب والقوى السياسية الأخرى المشاركة في الحوار ما لا يزيد على نسبة 30 في المئة من مقاعد السلطة التنفيذية والتشريعية¹⁴. وكان أبرز المشاركين الجدد في الحكومة التي شكلها البشير في أيار/ مايو 2017، قوة سياسية إسلامية¹⁵ كانت قد انشقت سابقًا بقيادة الزعيم الروحي لتنظيم الإسلاميين السودانيين حسن الترابي، وصارت في صف معارضة الحزب الحاكم؛ الأمر الذي زاد من قوة الكتلة الإسلامية في الحكومة، أو على الأقل الملتزمة والمحسوبة على الحركة الإسلامية. وسرعان ما اتضح التباين في مواقف القوى السياسية لحكومة الوحدة الوطنية المشكلة حديثًا بقيادة البشير، من خلال التجاذبات الحادة داخل التحالف الحاكم أثناء الأزمة الخليجية؛ ففي جلسة انعقاد البرلمان في 7 حزيران/ يونيو بعد يومين من بيان وزارة الخارجية السودانية المحايد تجاه الأزمة، طالب عدد من النواب من تيارات ينتمي بعضها إلى الحزب الحاكم، وينتمي بعضها الآخر إلى قوى سياسية مشاركة، الحكومة السودانية باتخاذ موقف واضح في الانحياز إلى قطر، يتلاءم مع ما ظلت تقدمه إلى السودان من مواقف دبلوماسية وسياسية ومساعدات طوال السنوات الماضية¹⁶. بينما ظهر الخلاف الثاني حينما استدعى البرلمان ذاته وزير الإعلام السوداني أحمد بلال عثمان بسبب تصريحاته الموجهة ضد قناة الجزيرة، والمنحازة علنًا إلى موقف مصر في الأزمة الخليجية، فاستبق الوزير جلسة الاستماع أمام لجنة الإعلام بالبرلمان ببيان أكد فيه أن التصريحات التي أدلى بها في مصر تمثل موقفه الشخصي، وأكد ثبات الحكومة السودانية على موقف الحياد¹⁷.

¹⁴ "السودان يعلن تشكيل حكومة 'الوفاق الوطني'"، روسيا اليوم، 2017/5/12، شوهد في: 2017/7/30، في: goo.gl/8BCQwT

¹⁵ "الصادق المهدي يهدد بطرح حوار 'ظل' في السودان"، العربي الجديد، 2017/5/18، شوهد في: 2017/7/30، في: goo.gl/JAUoFV

¹⁶ "مطالبات بالبرلمان لانحياز السودان الى قطر في أزمتها مع دول الخليج"، الطريق، 2017/6/7، شوهد في 2017/7/30، في: goo.gl/DS9qdq

¹⁷ "وزير الإعلام يستبق الاستدعاء للبرلمان ببيان"، السودانية، 2017/7/15، شوهد في 2017/7/30، في: goo.gl/rETZB8

بينما اعتذر أثناء مثوله أمام اللجنة البرلمانية المعنية عن تصريحاته المثيرة للجدل، في حين عدّ الحزب الاتحادي الذي ينتمي إليه الوزير تلك التصريحات مثيرة للفتنة وخروجًا على توجه الحزب¹⁸.

يعكس هذان الموقفان مدى التعقيد والتباين في وجهات نظر الحكومة السودانية تجاه الأزمة الخليجية، التي يتقاسمها تياران رئيسان؛ الأول يتبنى موقف الحياد في الأزمة، وعلى رأسه الرئيس عمر البشير ورئيس الوزراء ووزير خارجيته وقادة حكوميون وآخرون عسكريون ومدنيون، يتولى بعضهم حقائب وزارية، وبعضهم حكام ولايات، في مقابل تيار ثان يمثل أغلبية لا يستهان بها في البرلمان تفضل الانحياز الواضح إلى جانب قطر في الأزمة، وأبرز وجوه هذا التيار قادة حكوميون ذوو خلفية إسلامية ينتمون إلى حزب البشير، وقوى سياسية أخرى من إقليم دارفور، إلى جانب أحزاب سياسية أبرزها حزب المؤتمر الشعبي الذي كوّنه الترابي بعد انشقاقه عن البشير في عام 1999، وإن كانت الدلائل تشير إلى سيطرة الجانب التنفيذي من الحكومة بقيادة البشير، على مجريات الأمور داخل مكونات التحالف الحاكم في الخرطوم؛ ما يجعل الحكومة تبدو كأنها مجمعة على تبني موقف الحياد من الأزمة الخليجية.

رابعًا: العلاقات السودانية - القطرية

ساهمت العلاقات الدبلوماسية المتميزة بين قطر والسودان طوال عقدين من الزمان، والدعم القطري المتواصل للخرطوم، باعتراف الخرطوم ذاتها¹⁹؛ في تجاهل السودان الضغط والحوافز السعودية والإماراتية الساعية لكسب مزيد من الدول في صف محور الحصار، وإن كان البعض يرى أن الموقف الحيادي الذي اتخذته السودان في هذه الأزمة، يبدو ضئيلاً أمام فرص النجاة المتكررة التي ظلت تمنحها الدوحة باستمرار لحكومة البشير.

¹⁸ "وزير الإعلام السوداني يعتذر عن تصريحاته بشأن قناة الجزيرة وسد النهضة، فكيف برّرها؟"، هاف بوست عربي، 2017/7/16، شوهد في 2017/7/30، في: goo.gl/2AuFhi؛

انظر كذلك: "إشراقة: تصريحات أحمد بلال دعوة للفتنة ولا تمثل رأي الحزب"، السودان اليوم، 2017/7/17، شوهد في 2017/7/30، في: <https://goo.gl/Kb7qRX>

¹⁹ "Al Bashir Praises Qatar's Support for Sudan at all Levels," Qatar Tribune, 16/5/2017, accessed on 30/7/2017, at: goo.gl/1E6Wtk

فمنذ مجيء الإخوان المسلمين إلى الحكم بقيادة حسن الترابي، عبر انقلاب عسكري نفذه البشير، والذي أطاح الحكومة التعددية التي كان يرأسها زعيم حزب الأمة الصادق المهدي²⁰، ظلت الخرطوم معزولة دوليًا منذ عام 1989. واستمرت حالة العزلة الدولية لتزداد، بعد أن رأت بعض الدول العربية، ومن بينها مصر والسعودية، أن الحكومة الجديدة في الخرطوم تستهدف أمنها بوصفها أول جماعات الإخوان المسلمين وصولاً إلى الحكم في المنطقة، وهو ما دفع السودان آنذاك باتجاه إيران²¹. لكن بدءاً من عام 1997 شهدت العلاقات السودانية - القطرية تطوراً لافتاً، وقد أدى الدعم القطري للسودان دوراً بارزاً في تطوير تلك العلاقات وديمومتها؛ إذ في الإمكان عدّ الدعم القطري للسودان، اقتصادياً وسياسياً وأمنياً - والذي كان جزءاً أساسياً من الإستراتيجية السياسية لدولة قطر تجاه المنطقة - من أهم الركائز التي جعلت الخرطوم أقرب إلى الدوحة منها إلى بقية عواصم المنطقة العربية. وقد ظل الدعم القطري للسودان متواصلًا من دون انقطاع طوال فترة حكم الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني الذي تولى السلطة في عام 1995، وحتى مجيء ابنه الشيخ تميم بن حمد آل ثاني في عام 2013²²؛ إذ رعت دولة قطر مفاوضات الحكومة السودانية مع الحركات المسلحة في إقليم دارفور، وتوسّطت فيها طويلاً؛ ما ساهم في تهدئة الحرب التي أنهكت الحكومة السودانية عقداً من الزمان، إلى جانب دور قطر المحوري في تقديم الدعم المالي والتسهيلات المطلوبة لوجستياً لتطبيق الاتفاقيات الموقعة بين الحكومة والحركات المسلحة في الإقليم الملتهب غربى السودان. هذا عدا عن كون قطر من أكبر المانحين في مشروع إعمار إقليم دارفور الذي دمرته الحرب²³؛ وهو المشروع الذي بدأ منذ توقيع اتفاقية أبوجا للسلام مع أكبر الفصائل الدارفورية المسلحة بقيادة المساعد الأسبق لرئيس الجمهورية؛ أركو مناوي.

²⁰ انظر: عبد الرحمن خوجلي، الجيش والسياسة (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012)، وخصوصاً القسمين 10-11، ص 102-120.

²¹ انظر: المحبوب عبد السلام، الحركة الإسلامية السودانية دائرة الضوء خيوط الظلام: تأملات في العشرية الأولى لعهد الإنقاذ (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 2009)، وخصوصاً الفصل المعنون بـ "السياسة الخارجية المنعطفات الكبرى"، ص 303-350.

²² "أمير قطر يزور السودان في مستهل جولة عربية"، مصر العربية، 2014/4/2، شوهد في 2017/7/28، في:

goo.gl/9bSPSC

²³ "Cash, aid and diplomacy: Will the Sudanese, especially Darfuris, get a new deal?" *The Economist*, 6/4/2013, accessed on 30/7/2017, at: goo.gl/rJJRpv

امتد دعم قطر للسودان ليشمل جوانب اقتصادية ونقدية، كان أهمها محاولات قطر المتكررة تثبيت العملة السودانية حفظاً لها من التدهور المتواصل الذي كانت تعانيه؛ إذ بدأ الجنيه السوداني في التراجع أمام العملات الأجنبية مع انفصال جنوب السودان في عام 2011، نتيجة فقدان البلاد نحو 75 في المئة من مواردها النفطية التي ذهبت مع الدولة الجديدة في الجنوب؛ الأمر الذي كان يصعب التعويض عنه على المدى القريب، فكانت قطر حاضرة من خلال التدفقات المالية بالعملة الأجنبية التي كانت توضعها في الخزينة السودانية²⁴؛ ما جنب السودان أزمات اقتصادية خانقة ترافقت مع موجات من الاحتجاج السياسي، والتظاهرات التي عمت معظم مدن البلاد، وكادت تطيح حكومة البشير. كان كل ذلك في فترتين متقاربتين؛ أولاً موجة التظاهرات التي اندلعت في الخرطوم ومدن سودانية أخرى في عام 2012، احتجاجاً على رفع الدعم عن المحروقات والسلع الرئيسية الأخرى، والثانية كانت في أيلول/سبتمبر 2013 عقب تطبيق الحكومة حزمة من السياسات الاقتصادية في جوانب الطاقة والضرائب على السلع والخدمات، وكانت هي الأعنف في تاريخ النظام؛ إذ لم يكن هناك مخرج أمام الحكومة السودانية لتخفيف تلك الضوابط الاقتصادية المتكررة غير الدعم المالي الذي قدمته حكومة قطر، والذي ساهم بلا شك في تجنب النظام احتمالات السقوط الوشيك آنذاك.

ولم يقتصر الدعم القطري للسودان على الجوانب الاقتصادية والسياسية المباشرة فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل الجوانب الإنسانية في معظم مناطق السودان، وخصوصاً مع الكوارث التي كانت تسببها السيول والفيضانات في السنوات الأخيرة، حيث كانت الهيئات القطرية والحكومة ترسل باستمرار الإعانات للحالات الطارئة والمناطق المنكوبة²⁵. وامتد اهتمام قطر بالسودان ليشمل مشاريع تنموية وتشبيد بنى تحتية²⁶، وأخرى ذات طابع ثقافي في جوانب السياحة والاهتمام بالآثار التاريخية السودانية القديمة²⁷. وكانت الحكومة القطرية في ظل دعمها

²⁴ "Intelligence brief: Qatari aid, finance and foreign policy in Sudan," Open Briefing, 21/2/2014, accessed on 30/7/2017, at: goo.gl/Vb8dHZ

²⁵ "قطر تبعث بمواد إغاثة عاجلة لمتضرري السيول بالسودان"، مصر العربية، 2013/8/13، شوهد في 2017/7/28، في: goo.gl/NTzfMn

²⁶ "قطر تمويل مشروعاً للكهرباء بالسودان بأكثر من 200 مليون دولار"، مصر العربية، 2013/6/22، شوهد في 2017/7/28، في: goo.gl/Gt2ia2

²⁷ "Sheikha Moza visits pyramids in Sudan restored with Qatar help," *The Peninsula*, 13/3/2017, accessed on 30/7/2017, at: goo.gl/Df2MUU

المعلن لحكومة الخرطوم، تحرص على أن تبدو واقفة على مسافة من الحكومة وقوى المعارضة السودانية²⁸؛ فقد لبى قادة المعارضة ورموزها عديدًا من الدعوات الرسمية وغير الرسمية لزيارة قطر²⁹، وكثيرًا ما أبدت رأيها في مسارات الحل للخلافات بينها وبين الحكومة؛ وهو الملف الذي دأبت قطر على الإمساك به منذ انفصال جنوب السودان في عام 2011.

خامسًا: المشاركة العسكرية للسودان في عاصفة الحزم

كانت مشاركة السودان في حرب اليمن ضمن ما عرف بعملية عاصفة الحزم، أشبه بالعامل الحاسم في تحديد موقف الخرطوم من الأزمة الخليجية. ويمكن فهم الدور الذي أدته مشاركة السودان في حرب اليمن، في هذه الأزمة، لا بوصفها إشارة إلى التقارب بين الخرطوم والرياض وأبوظبي³⁰، بل بوصفها حالة لتلاقي المصالح الآنية بين هذه الدول؛ إذ وفرت هذه المشاركة لاحقًا للسودان، عاملاً إضافيًا زاد من استقلالية الخرطوم تجاه الأزمة الخليجية، وأعطى حكومة البشير قاعدة متماسكة لفرض وجهة نظر مغايرة لإجماع أعضاء التحالف الذي استبعدت منه قطر. وهكذا، استغلت الخرطوم حاجة دول الحصار إلى مشاركة الجيش السوداني على الأرض في اليمن، لكسب موقف شبه مستقل، لا يخضع على الأقل لإرادة هذه الدول؛ الأمر الذي رأت فيه السعودية والإمارات نوعًا من التمرد المرفوض. لكنها، على الرغم من ذلك، لم يكن في مقدورها استبعاد السودان من الحلف العسكري كما فعلت مع قطر؛ إذ هي بذلك تفتح على نفسها جبهة عداء جديدة، تفقدها حليفًا مهمًا في تلك الحرب. لذا، عمدت السعودية إلى توجيه قوتها الناعمة ضد السودان في ثلاث قضايا رئيسية، أشبه بإجراءات عقابية ضد الخرطوم لموقفها المحايد في هذه الأزمة، وربما كان ذلك هو ما دفع السودان إلى المحافظة حتى الآن على موقف الحياد من دون الانحياز إلى جانب قطر.

²⁸ رؤساء أحزاب المعارضة السودانية الكبرى يشاركون في مؤتمر المجتمع المدني الدارفوري"، راديو دبنقا، 2011/5/26، شوهد في goo.gl/wDQyGL، في: 2017/7/28

²⁹ "المهدي: نقدر الاهتمام القطري بالشأن السوداني وبناء السلام في ربوعه"، بوابة الشرق، 2015/5/24، شوهد في 2017/7/27، في:

goo.gl/FPHCsM

³⁰ "Qatar-GCC crisis unsettles Sudan," Al-Monitor, 20/6/2017, accessed on 31/7/2017, at:

goo.gl/UxQYSa

جاء رد الرياض على حياد السودان بتطبيق ثلاث إجراءات عقابية؛ كانت بمنزلة رسائل تحذيرية للبشير وحكومته، حتى لا يزداد قربًا من الدوحة. كانت الرسالة الأولى تعيين المسؤول السوداني المعزول طه عثمان مستشارًا للملك سلمان للشؤون الأفريقية، وإرساله فورًا مبعوثًا عن الملك إلى القمة الأفريقية المنعقدة آنذاك في أديس أبابا³¹، لحشد المزيد من الدول في صف حلف الحصار. أما الرسالة الثانية فكانت الإسراع في تنفيذ القرار الذي أصدرته السعودية قبل ثلاث سنوات من دون أن تطبقه، والقاضي بترحيل 45 ألف مقيم سوداني بالسعودية، ممن لديهم مخالفات³²، في إشارة إلى الخرطوم التي تعاني أزمات اقتصادية خانقة؛ بأن الأمر يمكن أن يشمل جميع المقيمين السودانيين، وهو ما تخشى الخرطوم بشدة حدوثه، لما له من آثار كارثية على الاقتصاد، وزيادة اضطراب الأوضاع الداخلية في السودان. وجاءت الرسالة الأخيرة ممثلة بحالة التجاهل السعودي مطلب السودان بالتوسط لدى الإدارة الأميركية لرفع العقوبات؛ إذ صدر قرار الإدارة الأميركية في 12 تموز/ يوليو 2017 بتمديد النظر، ثلاثة أشهر، في رفعها نهائيًا عن الخرطوم³³؛ ما دفع الرئيس السوداني البشير إلى زيارة السعودية والإمارات في 17 تموز/ يوليو، خشية تصاعد عقوبات السعودية ضده، واتخاذ الإمارات إجراءات عقابية مماثلة، بينما استتقت وزارة خارجيته الزيارة ببيان يؤكد ثبات موقف السودان من الأزمة ودعم المبادرة الكويتية، في إشارة بثت تطمينًا للدوحة.

خاتمة

من خلال المحددات الخمسة التي استعرضناها، يبدو موقف الحكومة السودانية من الأزمة الخليجية، أشبه بمحاولة عسيرة للحفاظ على موقف يبدو ظاهريًا محايدًا تجاه طرفي الأزمة، بينما هو في حقيقته موقف رافض ضمناً للحصار الذي تتعرض له قطر، بإصراره على عدم الانضمام إلى دول الحصار، على الرغم من ضغط

³¹ "طه عثمان الحسين 'ابن البشير' عراب محمد بن سلمان أفريقيًا"، نون بوست، 2017/7/4، شوهد في 2017/7/31، في: goo.gl/pBFwko

³² "السعودية ترخّل 50 ألف سوداني من أراضيها!"، روسيا اليوم، 2017/7/15، شوهد في 2017/7/30، في: goo.gl/tk9NwG

³³ Katrina Manson, "Trump delays decision on Sudan sanctions: Divisions in administration halt permanent revocation of US boycott against country," *Financial Times*, 12/7/2017, accessed on 31/7/2017, at: goo.gl/fjs75B

أطراف الحصار عليه، وهو موقف تمثله اليوم، إلى جانب الخرطوم، عواصم عربية أخرى؛ كالكويت التي احتمت بأداء دور الوسيط بين الطرفين، وهو دور كانت تحتاج إليه دول الحصار أيضًا لنقل رسائلها إلى الطرف الآخر، ومسقط التي تبدو كأنها أدارت ظهرها لمجلس التعاون بخلافاته المتكررة، فالتزمت الحياد ظاهريًا، لكنها فعليًا لم تهدر فرصة تعزيز استقلاليتها عن القرار الخليجي الذي تتزعمه السعودية والإمارات، فأدّت دورًا مركزيًا في تخفيف حدة الحصار، وكذلك بغداد التي ما تزال تتعرض لضغط من السعودية والإمارات، لكن من دون أي بوادر لتبني موقف معادٍ لقطر، وربما تكون الرباط أيضًا من تلك العواصم، وهي تحاول الحفاظ على استقلاليتها بترك الشأن العربي والاهتمام بمحيطها الأفريقي فحسب. ربما كان ما يجمع بين كل هذه العواصم تطلعها إلى انفراجة سريعة لهذه الأزمة، ترفع عنها الحرج وتبعد الضغط والمساومات التي تقودها دول الحصار. لكن، في الأخير، لعل الحوافز والعقوبات التي تلوح بها دول الحصار، هي مما دفع الخرطوم وشبيهاتها إلى الإصرار على تبني موقف الحياد في هذه الأزمة.